



وصلنا الفرن سوا . . الواد سلم الورقه
بشاعته للفران ، وأنا سلمته ورقتي . .
ورجعت له قرب الظهر كانت اللجه استوت . .
وروحت البيت أكلت أكلة عمري ما كلت
زيها . .

رحلت الفريه ..

تلك كانت الصيحات التقليدية التي كانت تنطلق كل يوم في شارع خيرت متبادلة بين حنجرتين قويتين مجلجلتين ، الأولى مستقرة على أحد مقاعد ترام رقم ١٢ ، والثانية قابلة على مقعد على رصيف الشارع أو ممسك صاحبها بأحد الأمواس أو ماكينات الخلاقة يجول بها ويصول في أحد الذقون أو الرؤوس .

كان صاحب الحنجرة الأولى هو أبي . . المرحوم محمد السباعي . . أما صاحب الثانية فقد كان الأسطى محمود (المزين) ١ .

كان أبي يركب الترام من ميدان السيدة ويجلس على مقعده مهيباً محترماً بين الركاب بجسده الضخم القوي الممتلئ ووجهه الأبيض المشرب بحمرة وبذلاته الأنيقة وياقته المنشأة والطربوش الطويل يحجب معظم جبينه ويستقر على حاجبيه . كان يجلس بين الركاب في نفخة واعتداد . . ويتحرك به الترام في شارع خيرت . . حتى يمر بالبقة المعينة فتنتطلق منه صيحة مدوية في جد واهتمام :

— هفقت مفتاح ١٩ .

وفي لمح البصر ترد إليه الصيحة كأنها صدى الصوت
منطلقة من الأسطى محمود ، وقد وقف بقميصه وبنطلونه
وصلعته اللامعة يصيح متسائلاً في مثل جد أبي واهتمامه :

— رحت الفرن ١٩ .

وهكذا تنطلق الصيحتان المتسائلتان المتبادلتان والترام
معنأ في سيره .. كأنهما رصاصتان طائشتان لا تنتظران
جواباً .. وترتسم على وجوه الركاب دهشة ويحاولون عبثاً
أن يفهموا سبباً لما حدث أو معنى لما قيل .. وقد يتساءلون
فيما بينهم عما قال أبي وعما قال الأسطى محمود .. وقد ينبئهم
خبير سبق له الركوب مع أبي من قبل بأن ما قيل هو :
« هفقت مفتاح » و « رحت الفرن » ، ولكنه يعجز عن
تفسير معناهما وعما يقصد بهما .

ولست أشك في أن القارئ مهما بلغ به الذكاء إلا
يتساءل في عجب وحيرة مثل الركاب ولا أظنه واجداً لسؤاله
جواباً شافياً .

إن كلمة هفقت (بفاء مشددة) تعني في لغة محمود المزين
وفقت .. والأسطى محمود لغته الخاصة التي تحتاج إلى قاموس
لتبيانها .. وهي تبدو في نطقها كأنما يقصد بها الهزل والدعابة

فى الوقت الذى ينطقها الرجل فى منتهى الجدة . . ولا يقصد بها هزلا قط . . لسبب واحد هو أنه لا يستطيع أن ينطق سواها لأنه أصيب بنزلة جعلت لسانه « ملووقاً » فتعذر عليه النطق السليم .

وكان الرجل من تلقاء نفسه مخلوقاً خفيف الدم مرحاً مفراراً . . وزاده ثقل لسانه واعموجاج نطقه خفة فوق خفة . . وأصبح حديثه مهما حاول أن يكون جاداً حديثاً فكاهياً مضحكاً ! .

كان الأوسطى محمود ينطق « الملوخية » « ملوخله » . . فإذا أراد أن يقول أنه سيتغدى ملوخيـه بالفراخ . . كان قوله : « ملوخله بالفيران » . . وإذا أراد أن يضيف أن الحلو « كنافه » قلبها لسانه إلى « كناسه » فأضحى غداؤه الذى يصفه على سبيل التفاخر هو « ملوخله بالفيران والحلو كناسه » ! .

ولم يكن أبى يتخذ الأوسطى محمود مجرد حلاق . . بل كان يتخذه سميراً أو مهرجاً وصديقاً وفياً ، ولم يكن يذهب إليه لمجرد الحلاقة ، بل كان يتخذ حانوته أشبه بمقهى ، يقضى فيه معظم أوقات فراغه فيتلهى بمشاهدة الرائحين والرائحات والغادين والغاديات ويتبادل النكات الطائفة مع الأوسطى محمود إذا كان منهمكاً فى الشغل ، فإذا ما شطب جلس معه يسامرهِ ويسليه !

وكان أول عشور والدى على الأسطى محمود . . أو
اكتشافه له . . أقول عشوراً واكتشافاً . . لأن والدى كان
يعتبر الأسطى محمود لقطة أو كنزاً . . وكان يفضل صحبته
على صحبة رئيس وزراء ، ويعتبر عن إيمان أنه خير وأفضل
وأذكى وأظرف من معظم مشاهير البلد الذين كان يسميهم
بالأدعياء . . أقول إن أول عشور والدى عليه كان بصالون
الأسطى ابراهيم الحلاق على ناصية شارع السدالبرانى وشارع
التلول والملاصق لحانوت الفسكهانى الكائن فى شارع التلول .
وكان الأسطى محمود وقتذاك عاملاً فى صالون الأسطى
ابراهيم . . فاكتشف فيه أبى مواهبه . . واتخذ من الصالون
مكانه المختار .

والمدحش أن الأسطى محمود — باعتراف أبى نفسه —
لم يكن حلاقاً ماهراً بل كان أبى دائماً يتهمه بشغل اليد . .
وكان كثيراً مايسبب له جروحاً فى ذقنه حتى انتهى به الأمر
إلى أن يتخذ له حلاقاً آخر للحلاقة مع بقاء الأسطى محمود
فى مركزه الممتاز كسمير ومضحك وصديق . . ومع استيلائه
على أجرة الحلاقة الدورية المنتظمة دون أن تمس موساه
ذقن أبى أو يمس ممتصه شعر رأسه .

وفى ذات يوم فوجئ أبى بخلو صالون الأسطى ابراهيم

من الأسطى محمود .. فأصابه الدهش وتساءل عنه .. فأنبأه
صاحب الصالون بأنه طرده .. وأنه أحضر بدله صنایعاً
ممتازاً أكثر منه مهارة وطلب منه أن يجربه .

ولكن أبى لم يكن يعتبر الأسطى محمود حلاقاً .. بل كان
يعتبره عبقریاً ممتازاً .. وفيلسوفاً كبيراً لم يجد الدهر مثله ..
وتعجب كيف لم يقدر الأسطى ابراهيم مواهبه وكيف طرده
بمثل هذه السهولة .. دون أن يبدو عليه أسف ولا حزن ..
ودون أن يغلق الحانوت حداداً على ذهابه .. وكيف يدعى
أنه أحضر بدلاً منه إنساناً ممتازاً أكثر منه مهارة ؟ ! .

ولم يجب أبى على دعوة صاحب الصالون .. بل هزّ
رأسه فى حسرة وأسى .. وغادر الصالون دون أن يحاول
أن يخطو به بعد ذلك مرة واحدة .

وذهب يبحث عن الأسطى محمود طيلة يومه حتى عثر
عليه فى بيته بأحد أزقة البغالة .. ولم تمض بضعة أيام حتى
كان الأسطى محمود قد افتتح صالوناً خاصاً به فى الناحية
الأخرى من شارع السد لا يبعد كثيراً عن صالون الأسطى
ابراهيم .. وكان أبى يتخذ منه مكانه المختار واضعاً ساقاً على
ساق فى مدخل الصالون .

وسأل أبى الأسطى محمود عن سبب طرده من صالون

الأسطى إبراهيم ، فhez الأسطى محمود رأسه وقال أسفاً :
— ما لهش فى الطّين (يقصد الطيّب) نصيب . راجل
ضلالى ونيتة وحشه .

— أيوه مفهوم . . لكن إيه السبب إالى خلاه طردك ؟

— آل إيه بيقول إنى هفقت مفتاح .

— بيقول إيه ؟ ! .

— هفقت مفتاح .

وبعد الشرح فهم أبى أن الأسطى محمود طرد لأن صاحب
الصالون وجد النقدية فى صندوق المحل ناقصة فاتهمه بأنه وفق
مفتاحاً فتح به الصندوق وأنه سرق ما به .

واستغرق أبى فى الضحك على تهمة التهفيق التى اتهم بها
الأسطى محمود والتى كانت السبب فى طرده وقطع عيشه .

ومن ذلك الحين والكلمة لا تفارق لسان أبى . . فهو

لا يكاد يلقى الأسطى محمود ، حتى يصيح به :

— هفقت مفتاح ؟

حتى أضحت بينهما كأنها سلام عليكم !

وكان أبى يأخذ فى شرحها كل مرة لمن لا يعرفها . حتى

ضج الأسطى محمود وقال لأبى :

— ياسى سباعى . . الله لا يسبئك كفايه فضايح . .

ما بلاش السيره المهيبه دى ا دى ما كانتش كله .
ومع ذلك فقد استمر أبى يستعملها كتحية للأسطى محمود
حتى وجد الأسطى محمود رداً لها .
كان ذلك عند ما أقبل عليه أبى ذات عصر متهلل
الأسارير ، ضاحك السن ، وصاح بالأسطى محمود :
— هفت مفتاح ! .

فأجابه الأسطى محمود :
— وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .. مالك مبسوط
قوى كده ؟ خير إنشالله .

— خير قوى .. ما فيش بعد كده خير .

— حصل إيه .. أخذت درجه ؟

— أحسن .

— أخذت فلوس من الحاج مصطفى (الحاج مصطفى محمد

صاحب المكتبة التجارية الذى نشر له معظم كتبه ومنها
رباعيات الخيام) .

— أحسن .

— شفت بنت حلوه ؟

— أحسن .

— فيه إيه أحسن من كده ، يا أخى قوللى بقى وريحنى !

— أكلت ورقة لحمه معتبره .

— ودى حاجه غريبه . . ! ما انت كل يوم والثانى
بتاكل ورقة لحمه .. هوّا انت وراك حاجه غير ورق اللحمه
وورق الكتب ؟ ! .

— لا .. لا .. دى حاجه تانيه خالص .. دى ورقة لحمه ممتازه
غير اللى كنت باكله خالص .. حاجه ما تخطر ش على البال .
— يعنى إيه ؟ مش ورقة لحمه ، والا ورقة بنسكنوت ؟ ! .
— لحمه .. لحمه يا غبي .

— يعنى لحمه من السما ! .

— من الجزار يا حمار .

— طيب كل مره ما انت بتجيها من عند الجزار . .
والا بتجيها من عند باتا ! .

— دى ورقه ملوكى .. ما وردتش .

— إيه بس حكايتها ؟ .

— أنا أقول لك حكايتها .. النهارده رحت عند سلامه

الرباط الجزار وقلت له يوضب ثلاثة أرتال فى ورقه زى
العاده علشان أودهم الفرن .. قعد يلم من هنا ومن هنا ،
حته من بيت الكلاوى وحته من الفخده ، وإيشى عضم ،
وإيشى شغت لغاية ما كل الثلاثة الأرتال وابتدأ يوضبهم

وخرط عليهم البصلة وخط البهارات والتحاييش ولفهم في
الورق وقال لي اتفضل . . حاجه معتبره قوى .

— هي دي الورقة المعتبرة ؟ .

— لا . . مش هي .

— أمال منين الورقة المعتبرة ؟ .

— الورقة المعتبرة لقيته عمال يوضب فيها على جنب . .

حتة قطعية نظيفه زى اللوز . . تلاقى حتة العضم ملبسه باللحم
وفيه راق دهن زى القشطه . . وقعد يقسم فيها ويوضب
ويخرط عليها ويرش ويحبش فاستعجبت وسألت الواد الصبي :
— الورقه دي لمين ؟ .

فرد الواد بصوت واطى :

— دي له . . للعلم سلامه نفسه .

وقال الأسطى محمود معلقاً على قوله : « أظنك اتحسرت »

— قوى . . وفضلت واقف أبص لها وأبص للورقة

بتاعتى ومش قادر أتكلم .

— الله يكون فى عونك .

— المقصود لف الورقة وادها للواد الصبي علشان

يودها الفرن وأنا أخذت الورقة بتاعتى علشان أودها الفرن .

— وبعدين ؟ .



— ولا قبلين . . . وصلنا القرن سوا . . . الواد سلم
الورقة بتاعته للفران . . . وأنا سلبت ورقتي . . . جه الفران
يدخل الورقتين قلت له حاسب إوعى الورقتين يتلخبطوا
لحسن دول زى بعض . . . والا أقول لك .. هات لما أعلمهم
أضمن ، وسجبت الورقتين ورحت قاطع من طرف واحده
منهم حته ورقة وقلت له : المقطوعه دى تبقى بتاعتي ، والثانيه
بتاعة المعلم سلامه . . . وبعدين سبت الفرن ورجعت له قرب
الظهر كانت اللحمه استوت . . . أخذت الورقة المقطوعه
وراحت البيت أكلت أحسن ورقة لحمه أكلتها فى حياتى .
— إيه الكلام ده ؟ إنت مش بتقول أخذت الورقة
المقطوعه بتاعتك ! .

— أيوه أخذت الورقة المقطوعه لكن ما كانتش بتاعتي
لأنى لما جيت أعلم الورقة قطعت ورقة المعلم سلامه .
ومنذ ذلك اليوم . . . وحتى بعد انتقاله بصالونه إلى
شارع خيرت والأسطى محمود يعرف كيف يرد التحية . .
فلا يكاد والدى يهتف به : « هفقت مفتاح » .
حتى يجيبه بأعلى صوته : « رحت الفرن » .
فإذا سأله أحد شرح له المسألة بخذافيرها .
وقال لأبى : « واحده بواحد والباقيء أظلم » .